"قُربٌ لا يُرى"

خواطر

قرب لا یری

ملك حسين

اسم الكتاب: قرب لا يرى

نوع الكتاب: خواطر أدبية

الكاتبة: ملك حسين

التصحيح اللغوي: ملك حسين

تصميم غلاف: أميرة صلاح

التنسيق الداخلي : فاطمة محمد

الناشر الإلكتروني: دار ياقوت للنشر والتوزيع

الإصدار الإلكتروني الأول - 2025

جميع الحقوق محفوظة © للكاتبة والناشر

لا يجوز نسخ أو إعادة نشر أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة دون إذن مسبق.

المقدمة :

عزيزي القارئ، اقرأني بقلبك، لا بعينيك.

واجعل ما بين السطور يصل إلى الجزء الذي يعرف الله فيك، حتى وإن كنت تائهًا، غائبًا، مُثقلاً.

تجوَّل معي بين سبعة فصول من حديث القلب.

كل فصل منها خيط من خيوط الرجوع، خطوة في طريق الطمأنينة،

كل كلمة فيها قُرب...

لكنّه قُرب لا يُرى.

الفصل الأول

أدعوه ... أفلا يستجيب! ﴿ادعوني أستجب لكم﴾

[غافر: 60]

هل تظن أنها مجرد آية؟

ربما مرّت إلى مسامعك مرارًا،
وربما قرأتها مرات دون أن تستشعر جوهرها وما بها من وعود.

لكنها ليست مجرد آية،
بل وعد من الله صريح،
وعدٌ بأنه يسمعك، وأن صوتك لا يضيع،
وأن ما تدعوه لا يُنسى،
وأنك لستَ وحيدًا حين تهمس باسمه.

زكريا عليه السلام... حين طلب فوجد

زكريا لم يكن شابًا، وامرأته بلغها الكِبر، عاقرٌ لا تُنجب.
بلُغة البشر: الأمر مستحيل.
لكن هل هناك مستحيل على الخالق، على ربّ الأسباب؟

حين رأى رزق مريم

دخل زكريا على مريم في محرابها،
فوجد عندها رزقًا كثيرًا،
في غير أوانه، وفي غير سببه.
فتعجّب متسائلًا:
"يا مريمُ أنَّى لكِ هذا؟"

فقالت:
"هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"

هنا، لم يسأل زكريا عن السبب،
بل فهم الرسالة:
أن من رزق مريم... قادر على أن يرزقه هو أيضًا.

دعاء واستجابة

توجه زكريا إلى ربه داعيًا،
ولم يكن دعاؤه صاخبًا، بل:
﴿إذ نادى ربه نداءً خفيًّا﴾

دعاء نابع من فؤادٍ مؤمن،
صوته خافت، لكنه بلغ السماء.

فكان الرد الإلهي:
﴿فنادته الملائكة وهو قائمٌ يُصلي في المحراب أن الله يُبشرك بيحيى﴾

اعلم أن...

من رحم المستحيل جاء العطاء.
من امرأةٍ عاقر... جاء نبي.
من شيبةٍ وهن... جاءت حياة.

نأخذ بالأسباب؟
نعم، لكن الدعاء كان السبب الأعظم.
أن تطلب من ربّ الأسباب... هو أعظم سبب.

فالله لا يردّ من دعاه بصدق،
ولا يُخيّب من وثق فيه.
وإن تأخرت الاستجابة، فخلف التأخير حكمة،
وفي مجيئها... معجزة.

لا تستح من سؤاله

لا تقل: أذنبت كثيرًا.

ولا تقل: أنا لست أهلًا بالعطاء.

ولا تظن أن هذه القصص للأنبياء فقط.

عزيزي القارئ،

تلك "الآيات" لم تأتِ عبثًا،

بل جاءت لتطمئن قلبك، وتعلّمك، وتفتح لك باب الرجاء.

إن الله يُحب أن يُسأل،

ويُحب الإلحاح،

ويسمعك... حتى وإن لم تفتح فمك.

دعاء قلبٍ أُنهك

يا رب، إني لا أملك إلا الدعاء...

فاجعل فيه نجاتي.

وإن تأخّر الجواب، فلا تجعلني من القانطين.

اللهم ارزقني يقينًا بأنك لا تُضيّع صوتًا خرج إليك،

ولا قلبًا قصدك.

يا سامع الدعاء... لا تحرمني الإجابة.

إنك أنت السميع العليم.

الفصل الثاني:

خُلوة مع الله

﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مُخلَصًا وكان رسولًا نبيًّا﴾

[مريم: 51]

خلوة لا تشبه أي خلوة

في زحمة الدنيا، وسط الضجيج والمشتتات،
هناك لحظة تختلف عن كل شيء آخر...

لحظة تخلو فيها بنفسك، لا لتتحدث مع نفسك، بل لتناجي من خلقك... من يعرفك أكثر منك.

الخلوة بالله ليست عزلة،
بل اصطفاء.
هي تلك اللحظة التي يهمس فيها قلبك لله...
فيهمس لك الله بما لا يُقال، ولا يُكتب، بل يُشعر، ذلك الوقت الذي تكن فيه بكامل صدقك لا تختبئ ورا أي قناع.

خلوة موسى عليه السلام

خرج موسى من مصر خائفًا يترقّب،
تاركًا خلفه قومًا، وخطيئة، ومطاردة.
في صحراء مدين، جلس غريبًا، بلا وطن، بلا مأوى، بلا خطط.

فقال بقلب منكسر:
﴿رب إني لما أنزلت إليّ من خيرٍ فقير﴾
[القصص: 24]

لم يكن يطلب شيئًا محددًا،
لكنه طلب الخير من الله، فكان الردّ: مأوى، عمل، زوجة، وطمأنينة.

ومن تلك الخلوة...
اختاره الله ليكلّمه على الجبل.

خلوة محمد ﷺ في غار حراء

لم يكن نبيًّا بعد، كان قلبًا صادقًا يبحث عن الحقيقة يبحث عن الحق.

كان يخرج إلى غار حراء،
ينفرد بنفسه، ويُفكّر، ويُراقب الكون من علٍ يتطلع السماء، النجوم، يتعجب لتلك المخلوقات العظيمة يتساءل قلبه عن ما ورائها...

حتى نزل عليه أول الوحي:
"اقرأ"
ومن رحم تلك الخلوات، وُلد النور، وبُعث الرسول، وبدأت أعظم رسالة عرفتها الأرض.

خلوة مريم مع الله

مريم عليها السلام،
تلك التي اختارها الله واصطفاها،
ما نالت مكانتها بين الخلق
إلا لأنها عرفت معنى الخلوة.
﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا﴾

كانت في خلوة دائمة،
بينها وبين ربّها سرٌّ لا يعرفه أحد،
وفي لحظة، أرسل الله إليها روحه...
وفي خلوة لا يراها أحد،
ابتدأت معجزة ميلاد نبي.

لم تكن الخلوة هروبًا

ما كانت خلوات الأنبياء خوفًا أو عزلة،
بل كانت بحثًا، وتطهّرًا، وتفرّغًا لله، كانت سؤالًا وإجابة، كانت رغبة وحصول، كانت دعاءًا واستجابة، كانت ضلالًا وهداية، تلك الخلوة دائمًا ما تجدها تبدأ بشيء من الظلام وما تنتهي إلا بالنور، أتفهمُني؟

في تلك اللحظات، يحدث ما لا يحدث في الزحام:
تسمع نداء السماء
وتبكي لأجل ذنبٍ نسيت أنك اقترفته
وتشعر أن الله أقرب إليك من كل أحد
الخلوة مع الله... ولادة جديدة صفحةٌ بيضاء كما نقول، تعطي عهد بالكف عن الذنب، فا ينوب عليك، ترفع يدك طالبًا شيء فلا تُرد خائبة الخلوة هي لحظة الصفاء الخالصة.

خذ خلوة لنفسك

لا تنتظر أن تُؤخذ منك الحياة قسرًا لتخلوا،
بل امنح لنفسك وقتًا لله، كما استطعت ذلك اليوم بانهاء عملك لنزهة مع أصدقاءك، عائلتك، كما تركت كل شيء لتنام، كما وجدت وقتًا لهاتفك، بإمكانك أن تجد ولو ساعة لله.
أطفئ هاتفك، اغلق الباب، اجلس كما أنت... وقل:
"يا رب، أنا هنا."

صدقني، سيصلك الردّ...
ربما سكينة تستشعرها بفؤادك، شيء أشبه بصمت ضجيج عقلك، أو شيء لامس قلبك.
ربما آية، تأتي إلى ذِهنك، تطمئنك، تذكرك، تجعلك للحظة بخير.
وربما دمعة تنزل وحدها وتطهّرك، تلك الدموع التي كبتتها داخلك في وقت كانت تود أن تنهمر فيه، فحان لها الوقت للإنهمار لأنها أخيرا شعرت بالأمان الذي عم جوفك.

دعاء في خلوة

"اللهم خُذ بيدي إليك،
اجعلني من الذين تُحبّ خلواتهم، وتسمع نجواهم،
وتختارهم من بين الخلق ليكونوا لك وحدك.
اللهم لا تجعلني غريبًا عنك في الزحام،
ولا محرومًا منك في الوحدة،
واكتب لي في خلوتي نورًا ونجاة."

الفصل الثالث:

وكان فضلُ الله عليك عظيمًا

﴿وأما بنعمة ربك فحدّث﴾

[الضحى: 11]

كلّنا نُحاط بفضل

أتعلمين يا قارئتي؟ أتعلم أيها القارئ الباحث عن سبيل الله؟

نحن لا نعيش بقدرتنا، ولا نقوم على أقدامنا بقوتنا، لا نستند على أنفسنا أو أحدًا بجوارنا

نحن محاطون بفضلٍ فحسب، نتنفس من فضل، نسير بفضل، ونجو فقط بفضل من الله.

كم مرة نجاك الله وأنت لا تعلم؟

كم مرة رُفع البلاء قبل أن يُصيبك؟

كم مرة أُعطيت دون طلب؟

كم من مرة ضاقت ومن ثم فُرجت؟

ذلك فضلُ الله...

الفضل ليس ماديًا فقط

الفضل قد يكون قلبًا سليمًا، أو نفسًا مطمئنة،
أو أمًا تدعو لكِ دون كلل، أو ابتسامة في عزّ الألم، أو عمل بسيط بارك الله فيه فأثمر أضعافًا.
الفضل أن تفتح المصحف فتجد راحتك فتجذ طمأنة في كلماته.
الفضل أن تبكي بين يدي الله فتُشفى روحك.
الفضل أن يسترك الله أمام الناس، رغم ذنبك.
الفضل أن يكن هناك صوت ينبهك إن أخطأت يدعوك إلى أن تعود.

يوسف عليه السلام والفضل الذي لا يُمنع

أُلقي في البئر من قِبل أخوته، ثم بيع عبدًا،
ثم سُجن ظلمًا...

لكن الله كان يجهّز له طريقًا لا يُشبه أحدًا كان الله أعلم بما يدبر له ويوسف لا يعلم، كأغلبنا حين نتذمر عن طريق لم نختاره، وننسى أنه أختير من قِبل من هو أعلم، وأرحم وأكبر منا.

﴿إنه من يتقِ ويصبر فإن الله لا يُضيع أجر المحسنين﴾

وخرج من السجن ليُصبح عزيز مصر،
ويقول في النهاية:
﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾
لم يذكر البئر، لم يذكر الألم،
ذكر الفضل فقط...

لا تقل "أنا استحق"

الفضل لا يُنال لأنك تستحق،

بل لأن الله رحيم، يعطي بلا حدود، ويغفر دون حساب، وينظر إلى قلبك لا لعملك فقط تالله إن جُزينا رحمة بمقدار ما نعمل لما كنا رُحمنا بهذا القدر.

إن شعرت أن ما عندك لا يليق بك،

فاعلم أن الله أعطاك فضلًا لتشكره لا لتستكثر.

شكر الفضل يُبقيه

أتعلم ما يُبقي الفضل؟
أن تشكره...

تذكّر دائمًا:
﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

احكي عن نعم الله، لا رياءً بل امتنـانًا.
ابتسم حين تذكر كيف أنقذك الله، تذكر حين انقذك شخصًا من مأزق وجلست في حضرة الناس تروي ما حدث وتنهي حديثك: بالله لولا فلان ما نجوت؟
فماذا عن من سخر فُلان لك؟ ألا تذكره؟ ألا تشكره؟
واكتب، ودوّن، وقُل:
"يا رب، أنا لم أكن أستحق، لكنك أعطيت، فلك الحمد."

الله يراك بضعفك ويعطيك

ليس لأنك قوي أُعطيت، بل لأنك ضعيفة والله القوي. ليس لأنك أبرّ الناس، بل لأنك فقير والله الغني.

تأمل:

كم من عاصٍ أعطاه الله؟

كم من مخطئ رزقه؟

كم من تائه احتضنه؟

كم من مذنب ستره؟

ذلك فضل، ولا أحد يملك أن يمنعه إلا الله.

دعاء الاعتراف بالفضل

"اللهم اجعلني ذاكرًا لنعمك، شاكرًا لفضلك، غير ناسٍ لما تفضلت به عليّ..
اللهم لا تجعلني ممن إذا أُعطي كفر، وإذا مُنع سخط،
بل اجعل قلبي راضياً بك، موقناً أنك دائم الفضل، حتى إن تأخرت العطايا."

الفصل الرابع:

إن كان ابتلاءً، ففيه النجاة

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

ما ظننته كسرًا... كان تقويمًا

ليست كل الأوجاع نقمة،
بعضها دواء...وبعضها ضوء أرسله الله حين ضللت الطريق.

الابتلاء ليس عذابًا،
بل امتحان، يرفع الله به من يشاء.

إن ضاقت عليك الأرض،
فاعلم أن الله يُريد لقلبك أن يفرّ إليه، البلاء نداء بطريقة أخرى.

بلاء نبيّ في ظلماتٍ ثلاث

يونس عليه السلام لم يخطئ في دعوته، لكنه استعجل الرحيل عن قومه حين رأى الإعراض.

ركب البحر، فهاجت الأمواج، فكان من المسبحين في بطن حوت، في ظلمة الليل، في ظلمة البحر، في ظلمة الجوف.

لا ناصر، لا معين، إلا الله.

نداء في عمق الغياب

ما قاله يونس لم يكن طويلاً، ولم يتوسل بالخروج لم يبحث عن سبيل خروج بعون نفسه! ولم يقنت، بل قال فقط بقلب صادق:

﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾

ذكر، وتسبيح، واعتراف، وصدق.

وهل يُرد هذا الصوت؟

﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾

أنت مثل يونس أحيانًا

حين تغرق في ظلماتك، في أخطائك، في هروبك، في لحظة ضعف، حين يضيق صدرك، وتُغلق أمامك، وتشعر أنك ساقط في بطن اليأس، أو ابتلعتك الهموم، تذكّر:

أن رب يونس هو ربك.

أن الغمّ لا يدوم، وأن الخروج ممكن، فقط إن دعوته بيقين قلبٍ لم يعد يملك إلا الله.

لا تُقِم في الغمّ طويلًا

كثيرون يسكنون في ابتلائهم، لا يخرجون منه، يغرقون في بحر أفكارهم التي تأكلهم رويدًا، لا يسألون الله، بل يعتادون الألم أو ربما يتذمرون ويبدأو في تذكر كل غم والإعراض عن النعم..

أما يونس، فكان أول عهده بالظلمة هو الدعاء.

وكان أول ردّ من الله هو الاستجابة.

كن مثل يونس، لا تمكث في ضيقك طويلًا، بل نادِ ربك مباشرة وتأكد يا عزيزي بأنه يسمعك، وثق بأنه سيستجيب.

اختبارٌ لا يُهان به أحد

البلاء ليس مهانة، ليس شيئا يخبرك بأنك سيء ربما شيئا يذكرك بأن تعُد لا تشرد أكثر، وكأنك في حضرة درس وشرد ذهنك فناداك مُعلمك لتستعيد انتباهك من جديد، ولله المثل الأعلى، كذلك حين يراك تشرد قليلاً فهو يسخر لك ابتلاءً لتعود.

فالله لا يبتلي عباده إلا ليرفعهم.

من جوف الحوت، خرج نبي.

ومن أعماق الضيق، يولد نور الإيمان الحقيقي، المتجرد من كل ما سوى الله.

:

دعاء الخروج من الغمّ

اللهم إنك تعلم ضيقي وإن لم أنطق، وتعلم سقمي وإن لم أشتكِ، وتعلم ضياعي وإن تظاهرت بالقوة.

يا من أنجيت يونس من الغم، أخرجني من ضيقي، وأنر قلبي، وقرّبني إليك، وطمئن قلبي بحبك.

يا الله، نجِّني.

الفصل الخامس:

سيعوضك الله، حتمًا سيعوضك

﴿إن مع العُسر يُسرا﴾

عزيزي القارئ، لا تنسَ أن هذا وعد، وليس أمنية.

التعويض الإلهي لا يُشبه البشر

التعويض من الله لا يأتي خجولًا،
ولا يأتي ناقصًا...
بل يأتي عظيمًا، مفاجئًا، واسعًا،
يأتي بطريقة تقول لك:
"ما خذلك الله يومًا."
بطريقة تُنسيك أنك حُرمت من شيءٍ قط.
ربما ظننت أن ما مضى لا يُعوّض،
لكن مهلاً! إنه الله...
الذي إذا عوّض، أدهشك.

فاطمئن، أنت في طريق التعويض

هل فقدت شيئًا تحبه؟
شخصًا؟ حلمًا؟ طمأنينة؟

هل بترت الدنيا جزءًا من روحك؟
فاصبر، واثبت، لأن الله لا ينزع شيئًا إلا ليمنحك ما هو أوسع وأرحب، يمنحك ما هو "خيرٌ لك".
سيعوضك الله حتمًا لأنك رضيت، لأنك صبرت، وما اعترضت.

أيوب عليه السلام..

أيوب سُلب منه كل شيء، المال، الأهل، الصحة، الراحة...

سنوات من البلاء،

لكنه قال فقط:

﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾

لم يتساءل لما أنا؟ لم يتذمر، لم يقنت من رحمة الله، لا تقل هو نبي! بل انظر أنه بشر.

فكان الرد:

﴿فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾

أيوب لم يُعوض بما فقد فقط،

بل بمثله، وزيادة.

لا تحدد طريقة التعويض

أحيانًا يُعوضك الله بقلبٍ أقوى

بسلامٍ داخلي،

بعلاقات أنقى،

بطريق جديد لم يكن في حساباتك لكنه الخير كلّه.

التعويض قد لا يشبه ما فقدته،

لكن ثق أنه سيشبه ما تحتاجه فعلًا.

ماذا لو تأخر؟

قد يطول الطريق،
وقد تظن أن الله نسِي،
لكنه لا ينسى أبدًا.

فقط تذكّر:
زكريا انتظر،
أيوب صبر،
يعقوب بكى حتى ابيضت عيناه،
لكنهم جميعًا... عوّضهم الله
وما أمرك بصعبٍ على الله!

حين يكافئ الله الصابرين

ربما لا تأتي الأشياء كما أردتها،
لكن حين تُرزق بها لاحقًا،
تقول:
"الحمد لله أنه لم يُعطني إياها حين طلبت."

هكذا يعوّض الله:
حين تُشفى،
حين تضحك بعد بكاء طويل،
حين تجد في النهاية ما يستحق كل هذا الانتظار.
حين تدرك أنك كنت مخطئ في ذلك الطلب الذي لم تناله، وأنك وجدت نفسك هُنا، حيث وضعك الله..

دعاء التعويض

"اللهم إن ضاقت نفسي فوسّعها بعطائك،
وإن فُقد مني شيء فاخلفه بخيرٍ منه،
اللهم لا تجعلني أندم على شيء منعته عني،
واجعل قلبي مؤمنًا بأن كل ما ذهب... كان رحمة،
وأن ما سيأتي... هو خير لا يُرد."

الفصل السادس:

قربٌ حد الفؤاد

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ

الآية التي لا تُنسى

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾

آية تمضي بها العيون، ولكنها تهز القلب إن

تمعن فيها.

كيف يكون الله أقرب إليك من نبضك، من دمك الجاري، من ذاتك؟

ليس قربًا يُقاس بالمسافة، بل هو قرب علم، قرب رحمة، قرب إحاطة، قرب لا يغيب عنك لحظة كيف لك أن تخاف فإن أحق من يجب أن تخشاه هو الله ولأنه قريب منك.

الغافل المُراقب

أحيانًا تظن أنك وحدك..

تسهر ليلك باكيًا، أو تسير في الشوارع تائهًا،

أو تغلق على قلبك ألف باب كي لا يراك أحد.

لكنك منسيّ من البشر، ولست منسيًا من رب البشر.

هو معك، يعلم ما بك، يرى ما في صدرك، يسمع همسك، ويعلم حزنك الذي لم تُفصح عنه لأحد.

فمن هذا الذي يرافقك في كل حال؟ إنه الله.

أشعر وكأن تلك الآية جمعت بين الطمأنينة والخوف أتعلم كيف؟

فهي بدأت بـ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه... هنا شيئًا من الخوف، بأن هناك رقيب على أخطاء نفسك وزلاتك، فاحذر!

وانتهت بـ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وهنا طمأنينة بأن كل ما بداخلك كل ما تشعره ولا تقدر على البوح به، فإن الله يعلمه، فاطمئن إنك لستَ بمفردك.

لا تغيب عن علمه

﴿يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور﴾

تظن أن ما تفكر فيه لا يعلمه أحد؟

أن حزنك المكتوم، وسؤالك الذي لم تنطق به، وظلمك الذي كتمته في صدرك، لا يراه أحد؟

الله يعلم.

يعلم ضعفك حين تبتسم، ويعلم ألمك حين تضحك، ويعلم كم مرة قلت "أنا بخير" وأنت لست كذلك، كم مرة ضحكت ضحكة ليست تنبع من داخلك ولكنك أجبرت على أن ترسمها على وجهك.

لكنه لا يلومك.. بل يقترب، يطمئن، ويُخفف عنك.

القرب لا يكترث على وقت.

الله لا يقترب فقط حين تتعبد،
بل حتى حين تُخطئ، حين تبتعد، حين تقع في الذنب ثم تبكي سرًا، هو أقرب إليك من كل من ظننت أنهم الأقرب.
بل وأحنّ عليك من نفسك، يغفر حين تعود، ويحبك ويسخر لك الندم لأنه فقط يحبك، لأنه يعرف ما في قلبك جيدًا.

قربٌ يسبق الدعاء

الله لا ينتظر منك أن تناديه بألفاظ مرتبة،
بل هو يعلم حاجتك حتى قبل أن تنطق بها،
ويعلم نيتك قبل أن تبدأ الدعاء،
قربه لا يحتاج منك جهدًا، فقط انكسارًا،
فقط أن تلتفت بقلبك، ولو للحظة، وستجده.

عندما تظن أنك وحدك

في أشد حالاتك ضعفًا، حين لا تستطيع شرح ما فيك، حين لا تستوعب نفسك، حين تقول: "أنا مش فاهمني"،
هناك قربٌ إلهي لا يُرى، لكنه يُحس.
ذلك الشعور الذي يأتيك دون سبب فتطمئن؟
هي رحمة الله.
وذلك الدفء الذي يأتيك وسط برد الحياة؟
هو قرب الله، فلا تشتت نفسك في البحث عن دواء، والدواء بات داخلك وأمامك وحولك دائمًا.

يا من تشتاق للقرب.. اقترب

يا من تظن أن الطريق بعيد،

اقترب..

كل ما عليك فعله أن تقول "يا رب"..

وسيُفتح لك بابٌ ما ظننت يومًا أنك ستدخله.

القرب لا يُقاس بالأفعال الظاهرة فقط، بل بالقلوب.

فاجعل قلبك متصلًا.. وقل دائمًا:

"يا رب، لا تجعلني غريبًا عنك، حتى وإن كنت بين الناس".

الفصل السابع

لذة الطاعة

في سكون الليل، حين يتناثر الهمس بين الحروف، تجد الطاعة لا تُطلب، بل تأتي بخطوات القلب المشتاق.

الطاعة ليست أمرًا ثقيلًا، كما يتصور البعض، وليست فرضًا فقط، بل هي حالة قلبية، تذوق فيها نكهة السكينة التي لا يشبهها شيء.

كلما اقتربت أكثر، كلما شعرت بشيء غريب يختلط في قلبك، كأنك تذوق أول شربة ماء بعد ظمأ.

ما بين صلاةٍ خاشعة، ودعاءٍ صادق، وذكرٍ لله، شعورٌ لا يوصف، شعورٌ بأنك أقرب إلى الله مما كنت عليه، شيئًا كنسمات الهواء البارد بعد الفجر، أو ربما عناق للروح.

هل جربت أن تكون في خشوعك مثل طفلٍ نائم في حضن أمه؟
الطاعة تكمن في هذا، في الشعور بالراحة التي تأتي عندما تعرف أن كل شيء بين يدي الله.
عندما تأخذ بيدك وتسمح له أن يقودك، فقط لأنك تعلم أنه الأرحم، الأحن، والأعلم بما يصلحك.
وفي تلك اللحظات، تشعر أن كل ما حولك يخبو، وأن العالم كله يهدأ حولك، إلا الله، فإنه قريب، قريب جدًا.
لك أن تُسلم قلبك وتترك الأمر بين يديه، فيطمئن قلبك، ويزداد إيمانك، وتنتابك راحة لم تشعرها من قبل.

نعم، الطاعة أحيانًا قد تكون صعبة، قد تشعر بتردد في بداية الأمر، لأنك تعتقد أنك بحاجة لبعض الراحة من الأوامر التي تكلفك.

لكن هل جربت أن تترك نفسك لله في تلك اللحظات؟

هل جربت أن تشعر بأن الفرض الذي تؤديه ليس عبئًا بل هدية؟

الطاعة ليست مجرد أداء واجب، بل هي حالة تناغم مع الله، حيث تشعر وكأن قلبك يرقص فرحًا بأداءه، وسكينتك تأتي من أفعالك التي تقربك إليه أكثر، اللذة تأتي حين تؤدي الطاعة احتياج أكثر من فريضة.

المؤمن يذوق في طاعته لذة لا تُعادلها لذة، لذة لا تُشبع منها، بل كلما ازددت طاعة، كلما زادت لذتك بها.

تقول في نفسك: "كيف لم أكن أعرف هذا من قبل؟".

الحياة ليست كلها معارك، أحيانًا هي لحظات تستشعر فيها أنك على الطريق الصحيح، وأنك تسير معه في الاتجاه الذي أعدّه لك.

فكلما ازددت تسبيحًا، شعرت براحة في القلب، وكلما أطعت، شعرت أن هناك نورًا يعمّ مكانك.

كلما شعرت اللذة في الطاعة علمت أن المعاصي لا لذة لها.

الطاعة لا تقف فقط عند الصلاة أو الصيام، بل هي في كل حركة نقوم بها في حياتنا،

حين تتذكر الله في كل أمر، وتحرص على إرضائه في كل تفاصيل يومك، حين لا تخشى أحدًا سواه، وتفعل ما يرضيه فقط.

في تلك اللحظات، تجد السكينة في كل شيء، تجد الطمأنينة في كلماتك، وفي أفعالك، تجد نفسك في مسارك الذي من المفترض أن تكن فيه طوال الوقت.

في الطاعة، تجد راحة في قلبك، تطمئن وتزداد قوة.

وعندما تُسلم قلبك لله وتؤمن بأن ما تفعله ليس عبئًا، بل هو سبيلك للراحة والنجاة، تجد الحياة تصبح أيسر، وتجد في نفسك القوة التي لم تعرفها من قبل.

الطاعة تذوق عميق، يفتح لك أبوابًا مغلقة في قلبك، يجعل بينك وبين الله علاقة أكثر حميمية.

تبدأ تشعر أنك لا تطيع فقط لأنك يجب أن تفعل، بل لأنك تشعر أن هناك لذة في الطاعة نفسها، لذة في أن تشعر بقربه منك، في أن تلمس قلبك الذي يشتاق إليه.

كلما ابتعدت عن الطاعة، شعرت بالفراغ.

وكلما عدت إليها، شعرت بالامتلاء.

تذوق هذه اللحظات، وابدأ في إحياء قلبك بالطاعة التي تملأ روحك، عد فإنك إلى الآن تائه وما لك من طريق صحيح سوى طريق الله، لا تبحث عن دواء في أماكن العلة، بل ابحث عن الدواء حيث يوجد هنا، بين يدي الله.

يا الله، اجعلنا من أهل طاعتك، الذين لا يملون من القرب إليك، الذين يسيرون معك في كل خطوة، ويذوقون لذة الطاعة في كل لحظة.

يا من تغنيت بحبك، اجعل لنا من طاعتك أيسر الأمور، وارزقنا القرب منك في كل وقت وحين.

يا أرحم الراحمين، إن طاعتك هي سبيلنا للراحة والطمأنينة، فلا تحرمنا منها، واجعل قلوبنا دائمًا تذوق لذة قربك وعبادتك.

الخاتمة

قد تنتهي الصفحات، لكن الحكاية مع الله لا تنتهي...

كل ما قرأته في هذه السطور لم يكن سوى إشارات صغيرة، تلمّح لك الطريق نحو قربٍ لا يُقاس، ونورٍ لا يُطفأ. الطاعة، الدعاء، الصبر، الخلوة، القرب... كلها كانت أبوابًا فتحها الله لك، لتدرك أن المسافة بينك وبينه أقصر مما تظن، وأنه أقرب إليك من حبل الوريد.

قد تمر عليك أيام ثقيلة، ويطول الليل، وتُحاصر قلبك الهموم... لكن تذكّر أن اللحظة التي ترفع فيها يديك، أو تسجد جبهتك، أو يهمس قلبك بذكره، هي اللحظة التي يتبدد فيها كل ذلك.

فما الحياة إلا رحلة بحث عن الطمأنينة، ولن تجدها إلا عند من خلقك، وسوّاك، وعرف ضعفك قبل قوتك.

وأنت تُغلق هذا الكتاب...

اجعل بينك وبينه عهدًا، أن يكون قلبك لله وحده، أن تشتاق لصلاتك كما تشتاق لروحك، وأن تجعل الطاعة لذّتك، والقرب منه غايتك.

فالله لا يُرى بالعين... لكنك إن أخلصت له، سترى أثر قربه في كل تفاصيل حياتك، وستدرك يومًا أن "قرب لا يُرى" هو أجمل ما قد يُرى.

توقيع الكاتب

دار ياقوت للنشر والتوزيع

"قُربٌ لا يُرى"

حين تكون تائهًا، حين لا تعرف الطريق، هو دائمًا
هنا... وهناك.
حين لا تجد أحدًا، حين تعجز حتى عن وصف ما
تشعر به، فقط تذكّر: هو يعلم ما بداخلك، قبل
أن تنطق، قبل أن تفهم حتى ما بك.
لأن الله أقرب مما تظن، قُرب لا يُرى، لكنه يغير كُل
شيء
"من كتبته روح كانت تبحث عن الله"

ملك حُسين

تصميم:
أميرة أشرف صلاح
"جريح "

دار ياقوت
للنشر والتوزيع
قاطمة
01555191983